## إسرائيل مذعورة من «الجزيرة»

**احمد عمر**

يروي فيلم البرايدتور (المفترس)، المصنّف جنساً في رتبة أفلام التشويق والإثارة والرّعب، بطولة أرنولد شوارزنيغر، حكاية بعثة عسكرية لإنقاذ دبلوماسي أميركي عالق في غابة. الحكاية حكاية رهينة أو مفقود، وهي حبكة هوليوودية أميركية نمطية. يقع أعضاء البعثة في مصيدة شبح يقتل أفراد البعثة واحداً تلو الآخر، والشبح الذي ينفرد بعائلة أو رهط أو عصبة، حبكة هوليودية نمطية. يقضي الوحش على المجموعة كلّها، إلا رجلاً واحداً هو بطلنا الذي يتبيّن له أنّ الشبح مخلوق فضائي خارق، قادر على التخفي والطيران، ومؤلّق بآلات دفاعية وهجومية فريدة، عندما يهتدي مصادفة إلى أنّ الطين يستره عن عين الوحش الجاسّة بالحرارة، فيدرك عجز الوحش وضعفه، وينصب له الكمائن، فينجح في تدميره تدميراً. لقد استعان بالطين المسنون، الذي خلقنا منه، فافلح، أرخص سلاح وأيسره، فجعل الوحش أعمى، أظنّ أننا عدنا إلى «السيكلوب» في الأسطورة الإغريقية. أصل الفكرة السينمائية هو أن يذرّ البطل تراباً في عين الشرير، فينجو، وقد نقل التراب من هيئة جافة إلى هيئة رطبة ومن عضو إلى جسم. قالوا: المعاني ملقاة على الطريق.

يمكن أن نتحدّث عن الكيل بمكيالين، ولن يختلف الحُكم إلّا كان المكيال واحداً ، فالكيّال أعمى، وهو أعمى قلب. تقول رواية «بلد العميان» (نشرت للمرّة الأولى في عدد إبريل/ نيسان 1904 من مجلة ستراند) لهربرت جورج ويلز، إنّ مستكشفاً بريطانياً اسمه نيونز، زلّت به قدمه وهو يتسلق الجبل، فسقط إلى وادي عميان، فتاه عنه صحبه حتّى ظنوا أنّه قد مات، فوجد ناسا كلّهم عميان، وبلدةً بيوتها خالية من النوافذ والأنوار، فأخبرهم عن أحوال أهل بلاده المبصرين وأنوارها، فأنكروه واتهموه بالجنون، فحاول الهرب منهم، فاصطادوه، وعوقب بالجلد على جناية الهرب، فاستسلم لمصيره، وعوقب بأعمال شاقة، ثم إنّه وقع في حبّ صبية عمياء جميلة من مواطنات بلد العميان، فالتمسها للزواج، فطلب والدها منه مهراً ثميناً، وكان مهرها أغلى من مهر عبلة ودينا وإيفانكا ترامب، وهو حبيبتاه: عيناه، صداقه هو العمى، لن يتزوج من صاحبة الحسن والدلال إلا بفقء عينيه، فهرب ونجا بنفسه وعينيه، العينان هما الحبيبتان، فلن يرى جمال خطيبته الفتّان إن خسر حبيبتيه.

أمس حظرت إسرائيل «التقدّمية» «الديمقراطية» قناة الجزيرة في إسرائيل، هذا سمل مجازي للعين، أو، قسر على رؤية المشهد الذي يريده الفرعون لشعبه أن يراه، ممنوع نقل الحقيقة، وتقوم وسائل التواصل، وهي آلات يملكها الغرب وتديرها إسرائيل في المنطقة بسمل العيون بسكاكين الخوارزميات، ومشارط تقييد الوصول، وسواطير الحجب، وسيوف حذف الصور، سوى الروايات والأفلام التي نشاهدها، فهي أفلام غربية، وهذا أيضاً سلب للعقول وخطف للأبصار، وآية ذلك أنني استشهدت بمثاليْن غربييْن: رواية إنكليزية، وفيلم أميركي، لكنّ طلاب الجامعات الأميركية عرفوا الحقّ وثاروا ضدّ حكومات بلد العميان.

يظهر البرايدتور بايدن أو البرايدتور نتنياهو أو أحد مساعديه، على الشاشات، باكين على المخطوفين الإسرائيليين، بدموع التماسيح الحزينة، ويَعِدُون بإنقاذهم، من غير ذكر لآلاف الفلسطينيين من النساء والأطفال المُعتقَلين في معتقلات الاحتلال السرّية والعلنية، فهم لا يرونهم. تجتهد وسائل الإعلام، في فنّ التجويد، إظهاراً وإخفاءً، وبثّ الأخبار الخلّابة، كخبر اكتشاف جمجمة إنسان نياندرتال في العراق، ولا يعرف عدد المرات التي أعلن الإعلام فيها اكتشاف عظام هذا الإنسان؛ آدم الحداثيين، وله من وراء الخبر أكثر من غرض وغاية، أوّلها إنكار أبوّة آدم. فرعون كان قد أصدر إعلانا دستوريا قال فيه: «مَا أُرِيكُمْ إِلا مَا أَرَى»، وما تسمعوش كلام حدّ غيري».

## أسامة الديناصوري وعلاء خالد ونزهة الألم

**عبد الحكيم حيدر**

في بداية الطريق، في الجامعة، جمعهما الشعر، والصحبة أيضاً، وحتّى الكُلْيَة نفسها، وسنة الميلاد أيضاً، حتّى حاصر الألم أسامة الديناصوري أولاً من بدايته، وفي نهاية رحلة أله التي انتهت بموته، فانفضّ عنه الشعر بعيداً، وكان النثر لدى أسامة هو بوابة بوحه الأخيرة، وكان كتابه الجميل في آخر عمره «كلبي الهرم». كلبي الحبيب» (دار ميريت، القاهرة، 2007)، وظلّ علاء هناك في مصيدة شبح يقتل أفراد البعثة واحداً تلو الآخر، والشبح الذي ينفرد بعائلة أو رهط أو عصبة، حبكة هوليودية نمطية. يقضي الوحش على المجموعة كلّها، إلا رجلاً واحداً هو بطلنا الذي يتبيّن له أنّ الشبح مخلوق فضائي خارق، قادر على التخفي والطيران، ومؤلّق بآلات دفاعية وهجومية فريدة، عندما يهتدي مصادفة إلى أنّ الطين يستره عن عين الوحش الجاسّة بالحرارة، فيدرك عجز الوحش وضعفه، وينصب له الكمائن، فينجح في تدميره تدميراً. لقد استعان بالطين المسنون، الذي خلقنا منه، فافلح، أرخص سلاح وأيسره، فجعل الوحش أعمى، أظنّ أننا عدنا إلى «السيكلوب» في الأسطورة الإغريقية. أصل الفكرة السينمائية هو أن يذرّ البطل تراباً في عين الشرير، فينجو، وقد نقل التراب من هيئة جافة إلى هيئة رطبة ومن عضو إلى جسم. قالوا: المعاني ملقاة على الطريق.

كانت الكتابة لشخص يكتب بدايات موته بعناية وثقة وهدوء، ومحبّة أيضاً، وكأنّه في نزهة ما مع أله، وكأنّه ركن أله على جنب وواصل نزهته هناك في هدوء، وعلّ ذلك ما حيّرني ساعتها في أسامة «ذلك الطيّب فجأة بلا ادّعاء طيبة»، طيّب ومتسامح مع أله، هل ذلك هو الشخص الذي كنت أتخوّف من غير سبب من النظر إلى عينيه؟ الغريب أنّ في المكان نفسه، وعلى الطاولة ذاتها التي كنت فيها مع أسامة وكتابته في مقهى الحرية بباب اللوق، جاءني خبر موته أيضاً، أتذكّر أطياف المرضة البسيطة في كتابته، وكأنّ أسامة ينسج من خيوط إيّام مرضه محبّة ما، طازجة بلا بلاغة ولا ميوعة في أثناء، جلسات غسيل الفشل الكلوي، عاشق يداعب الغرام وهو على طاولة الألم، وكأنّه يُغيظ الألم عامداً بهبهاء الصبر والكتابة. يتعامل أسامة مع شغفه الأخير بطيبة ونسيان قسوة الألم، وكأنّه يدرك قيمة الوداع بعيداً عن الميوعة. القدر نفسه من التعامل مع الألم بتأمّل وبساطة بحسّ المُوَدِّع تراه عند علاء خالد أيضاً، الذي ركن عمل الأعضاء جانباً، حينما مالت إليه طيبة السودان بصدرها بعفوية الطيبة أو «مرَضته التي استعارت كتابه»، فتلامس الصدر من دون قصد مع طيبة السودان، إلا أنّ الأعضاء في أوقات الألم تكون موضع تأمّل وتجرّد وخفة وتأويل فلسفي، كما حدث لعلاء في سيرة مرضه الذي سجّله في كتابه «مسار الأزرق الحزين» (دار الكرامة 2015)، فتنة أن تكون منتبهاً لألك بدقّة وتجرّد بلا صراخ أو فضيحة، تلك هي نعمة وبلاغة الكتابة عند أسامة الديناصوري في «كلبي الهرم. كلبي الحبيب»، الذي أنجزه قبل رحيله في 2007، وعند علاء خالد في «مسار الأزرق الحزين»، والذي أنجزه في نهاية عقده الخامس، متّعه الله بالصحة. لن يكون مرضك أكبر بكثير من دولاب جسدك، وأن يواصل الجسد عمله وعناده ، محارباً في مسألة وجوده... هنا ملخّص ما حدث مع أسامة الديناصوري، رحمه الله، ومعركة قائمة بواصلها علاء خالد أيضاً، بشكل ما مع ترميم الجسد، بواصلها هذا الجسد، بواصلها علاء خالد بشرف وجوده، حفاظاً على هذا الجسد، الذي هو آلة الحياة ودولابها وزينتها، وأملها أيضاً، حتّى وإن تعلق الجسد بالمحاليل والخراطيم والصوامين. أثناء، دخول الحمّام أو الخروج منه، ذلك كلّه بمثابة انتصار الحياة لشرف الوجود والمعرفة والجسد أيضاً، ولشرف الرحلة الإنسانية المحاطة بالألم من أنواعها كافّةً، سواء الجسدي منها أو النفسي أو الروحي، كي نزداد تأملاً للعالم ولأنفسنا أيضاً، وللآخرين. أسامة الديناصوري كابن مجاذيب، وعلاء خالد، حفيد صعايدة قدماء يحنّ إلى برّه الغربي، فهل جاء صيدي شافياً لي أنا، ميراثاً حميما «في الاثنين معاً» من دون أن أدري؟

## نعمت شفيق أو درسٌ في «الاستبداد الشرقي»

**هالك ونوس**

بقدر ما يتوفّر لجامعة كولومبيا الأميركية من مكانة وأهمية بين الجامعات والمجتمع الأميركيّيْن، خصوصاً من ناحية تصنيفها ومثيلاتها من صروح الثوليبرالية الغربية، بقدر ما نُكبت هذه الجامعة وطلبتها برئيسةٍ تسري في عروقها سموم الاستبداد، الذي قد يستنتج طلبتها الذين أمرت بقمعهم، إذا ما تفكّروا فيه، أنّها قد ورثته من منبته في الشرق. وتعمّق هذا التصور عند بروز نزعتها الفردية، حين بدا أنّها مُستعدّة للتضحية بكثير من ركائز الحرّية الأكاديمية والحقّ في التعبير، وكذلك بمستقبل الطلبة، من أجل بقائها في مركزها الوظيفي المرموق. وقد يفتح هذا الأمر لدى بعضهم في الغرب الباب أمام استنتاجاتٍ بشأن ما إذا كانت نظرية أو مفهوم «الاستبداد الشرقي»، الذي حاول كثيرون تفكيكه ونقضه، حقيقي وقائم، وليست ممارسات رئيسة جامعة كولومبيا نعمت شفيق إلا أحد أشكاله.

كان خبار شفيق شمشوميّاً حين لم تراع ميراثاً طويلاً من الحرّية الأكاديمية، التي لا يتنازل عنها طلبة الجامعات الغربية واساتذتها، ويعدّونها شرطاً أساسياً للمُضي في دراساتهم وبحوثهم؛ إذ لم تُعرَف أنّ تيار القمع الذي دعت إلى اعتماده مع الطلبة سيجرفها هي أيضاً عندما يتحكّم بقبضته البوليسية بجامعة أو أيّ مؤسّسة، يدعو المسؤولون فيها إلى تولّي عملية التعامل مع «الخَلل» الذي قد يتسبّب به منتسبوها. وهذا ما حدث حين اتُّهمت شفيق ذاتها بالتقصير في تعاملها مع الطلبة، وطُلب منها تقديم استقالتها إثر ذلك. لكنّ الأمر قد لا يتوقّف عند استقالتها، بل سيبقى زملاؤها، والطلاب الذين أمرت بقمعهم، يتذكّرون فعلها الاستبدادي، وسيستمرون في النظر إليها باعتبارها آتية من مجتمع تختلف ثقافته واقتصاده السياسي عن ثقافة المجتمعات الغربية واقتصاداها، هذا المجتمع الذي يعتمد القسر في عمليات الإنتاج، وفي النشاطات الاجتماعية الأخرى كافّة. وسيستدعون النظرة السابقة التي تكوّنت عنه في قرون، والتي كانت ترى فيه مجتمعاً منغلقاً وإراكاً ومتخلّفاً بفئاته كلّها، وحتى فئة النخبة التي تخرّج منه، والتي يمكن لها أن تحوز تحصيلاً علمياً عالياً، سيعتقدون أنّه لا يمكنها التطوّر والخروج من ذلك الانغلاق لكي تُجاري النخب في الدول الغربية وبقيّة الدول المتقدّمة، من ناحية التحرّر وتبنّي حرّية التعبير واحترام الرأي الآخر، وهو ما أثبتته شفيق. كما سيعودون إلى الصورة الدائمة بشأن هذه المجتمعات، والتي تقول إنّ الاستبداد مُتجذّر في الثقافة العربية حتى لا يمكن للإنسان في هذه المنطقة الفكاك منه، وربما لذلك قد يستنتجون سبب فشل الانتقال إلى الديمقراطية في جميع الدول العربية، كذلك سبب فشل ثورات الربيع العربي التي كان التحرّر والحرّية من أهدافها.

لن نُغرِّب كثيراً أو نُشرِّق للتأكد من استبداد نعمت شفيق الفردي، حين اتخذت قرار قمع الطلاب المُحتجّين على دعم إدارة الرئيس الأميركي جو بايدن حرب الإبادة الإسرائيلية ضدّ الفلسطينيين في غزّة، ودعمها الكيان الإسرائيلي بالسلاح والمال، وللمطالبة بسحب الجامعة استثماراتها من الكيان. بل سنعود إلى كتاب عبد الرحمن الكواكبي: «طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد»، ونقف على تعريفه الاستبداد، فندرك كم كانت تلك البروفيسورة مُستبدّة، وكم يمكن تشبيهها بأيّ طاغية من طغاة شرقنا المنكوب حين طلبت من شرطة نيويورك التدخّل لفضّ اعتصام الطلاب، واعتقال الأصليين في نانيبيا، حتّى إنّ الاعتذار الذي قدّمته برلين عن هذه الإبادة كان وقحاً، إذ تعهدت بدفع 1,1 مليار يورو فقط، وعلى مدار 30 عاماً(!) والأكثر وقاحة، دحضت معركة طوفان الأقصى في سياساتهم الداخلية والخارجية، وغيرها من الاقتباسات التي يضيق المقام عن ذكرها في هذا المقال. لكنّ الألماني أولاف شولتز، باعتباره حائط صدّ ضدّ من يُطلق عليهم «اليمين المتطرّف»، والمثير للسخرية، أنّ هذه الحكومة تضمّ حزب الخضر، الذي يُقدّم نفسه باعتباره مناصراً للبيئة (!) فإذا بسياسات هؤلاء تجعلنا لا نختلف أبداً عمّا يُمكن أن يمارسه أحط العنصريين وحشية، وإذا بما تسمى «العقلية الألمانية» لا تختلف كثيراً عن عقلية المجرمين النازيين. واستكمالاً للمسخرة الألمانية، ربّما نجد أن حزب الخضر سيطلب بوقف إطلاق النار بدعوى أنّ دخان القذائف الإسرائيلية وعوادم دباباتها تلوّث البيئة (!)

(إعلامي مصري في الدوحة)

> ترعرعت نعمت شفيق في مجتمع يسيّس نظامُ الحكم فيه المدارس، ويجيّش طلاب الجامعات والمدرّسين

المدينة إلى وقف احتجاجهم. ويتبين من فعلها أنّها ربما كانت غير مُدركة قوانين الجامعات في الغرب التي جعلت دخول قوات الشرطة إليها أمراً محرّماً لا يمكن لها الإقدام عليه، ولا تنفّذه إلا في حال طلبت إدارة الجامعة ذلك. وقد تُلام شفيق بسبب جهلها هذا الأمر وقد لا تلام. فهي قد ترعرعت في مجتمع يسيّس نظام الحكم فيه المدارس، ويجيّش طلاب الجامعات والمدرّسين، ويتّخذ من مبانيها مقرّات لأجهزة أمنه السرّي. وفي حالات مُتقدّمة يُخضع الطلاب فيها للتحقيق وربما التعذيب بسبب أرائهم، بدلاً من سوقهم إلى مراكز الأمن المتوفّرة بكثرة خارج أسوار الجامعات. لذلك، ربّما ظنت شفيق أنّها قد تُساق إلى مراكز الأمن السرّية في الولايات المتحدة وتعاقَب، فسارعت إلى تنصيب نفسها مُخبراً متطوّعاً لتحافظ على رأسها، كما حال بعض من أمثالها في كثير من الجامعات العربية.

ولكن، لماذا هذا التركيز على نعمت شفيق، بينما عارض رؤساء جامعات أخرى مطالب طلابهم، ووقفوا ضدّ احتجاجاتهم، وسمحوا لقوات الشرطة بفضّ اعتصاماتهم، واعتقال أعداد منهم، حتّى وصل عدد الطلبة المُحتجّين إلى أكثر من ألفي طالب معتقل؟.. قد يصحّ هذا السؤال لو لم تكن شفيق من أصول مصرية، وتحمل الجنسية المصرية؛ إذ ربما عوّل الطلاب على جنسيتها (وعروبتها) وتوقّعوا منها أن تنضمّ إليهم أو ألا تعارض احتجاجاتهم، وهو أضعف الإيمان، بسبب انتمائها الجغرافي والثقافي. لذلك، ربما يكون هذا الأمر الدافع للعودة إلى التفكّر في نظرية «الاستبداد الشرقي»، التي طُرحت قبل مئات السنين، بدءاً بأرسطو الذي افترض أنّ شعوب الشرق تميل إلى الاستبداد لأنّهم أكثر خنوعاً من غيرهم من الشعوب، مروراً بمنظّر الثورة الفرنسية جان جاك روسّو، الذي عزا الاستبداد إلى الدين، ثم المفكّر فريدريش هيغل الذي يردّه إلى النظام الأبوي القائم تاريخياً في الشرق، وصولاً إلى النظرية المادّية عبر كارل ماركس، الذي ربط بين الاستبداد ونمط الإنتاج الآسيوي، الذي يقوم على القسر. إلا أنّ نظرةً سريعةً إلى تاريخ الدول العربية الحديثة، والحركات الاجتماعية التي انطلقت قبل التحرّر من الاحتلال العثماني، يقول إنّ النزوع إلى الحرية لم يُفارق وجدان شعوب الشرق، والتي منها الشعوب العربية، التي وصلت إلى الاستقلال عن الاستعمار الغربي عبر انتفاضات وثورات ونضالات طويلة. غير أنّ التاريخ المعاصر يبين أنّ الاستعمار الجديد قد تولّى دعم الحكّام والأنظمة القائمة في المنطقة العربية، ودعم توجههم إلى الفردية والحكم الديكتاتوري لكي يضمن هيمنته وعدم وصول الشعوب إلى القدرة على بناء الديمقراطية بوصفها شرطاً طبيعياً لنموّ المجتمعات والاقتصادات في أيّ منطقة، وتحرّرها. ومن هنا، لا يمكننا إلا أن نقول إنّ نعمت شفيق ليست سوى إفراز غير مباشر لنزعة الهيمنة والتسلّط الغربية التي تحقّقت عبر ديكتاتوريات ساندت استبدادها فأفرَخت أفراداً مُستبدّين، وهم أفراد تساعد ثقافتهم وتطور شخصياتهم في تخليصهم من تأثيرات الأنظمة، وثقافتها، وممارساتها، وقد لا تفعل، كما في مثال البروفيسورة شفيق.

(كاتب سوري)

## الشماتة بالديمقراطية الغربية بلسان الاستبداد

**دلال البزري**

نعم، الغرب يُضيّع حجته الديمقراطية. ليس فقط في غزّة، إنّما من زمان. منذ نشأة هذه الديمقراطية؛ من جهة، مجتمعاته الآمنة صاحبة حقوق متعاظمة في المشاركة في القرار، مع العيوب الملازمة لهذه الديمقراطية؛ ومن جهة أخرى، نهب منظّم للشعوب الخاضعة له، ومراضاة حكامهم شديدي الغيرة على استبدادهم. وفي أيامنا هذه، ارتفعت وتيرة هذا «التضارُب» الديمقراطي. والسيناريو الدائم المُكرّر؛ علاقات مفيدة مع دولة تمارس سلطتها بالقمع الصريح ضدّ مواطنيها، يناشدها أصحاب الضمير بأن تضغط على هذه الدولة بغية تغيير سياستها المعادية للحريات فترفّ عليها الدولة الديمقراطية بأنّها ستفعل، ولكنها تأخذ أيضاً بالمصالح والفوائد التجارية أو الصناعية أو الاستراتيجية، الناجمة عن تحالف أو تعامل مع هذه الدولة الاستبدادية أو تلك. وينقضي غالباً الواجب الديمقراطي بالتذكير بـ«المصالح العليا» لدولتهم، نصف السرّية.

بعد السابع من أكتوبر (2023)، اتسع نطاق هذا العيب الديمقراطي الغربي وتعمّق. وكانت المقارنة بين موقف دوله من حرب بوتين على أوكرانيا وموقفها من حرب إسرائيل على الفلسطينيين، وبواعثها الأساسية أنّ إسرائيل «دولة ديمقراطية»؛ «منارة» الغرب المتقدّم وسط بحر القمع والاستبداد العربيّيْن. وبعدما أمعنت أميركا، قائدة الديمقراطية، في دعم هذه «الديمقراطية» الإسرائيلية إلى حدّ الفضيحة الموصوفة، وطوال هذا الإمعان، جاءت ردّة الفعل من داخلها، من شبابها الجامعيين في أرقى مؤسّساتها، فكانت المظاهرات والاعتصامات والخيم والخطب والأغاني تدوم بدوام المجاعة والمجزرة في غزّة. وردّة فعل الإدارة والشرطة قمعها؛ اعتقال ما يزيد عن ألف وخمسمائة طالب، واقتحام الخيم التي نُصبوها في أحرم جامعاتهم، فصل وإنذار لطلاب برزوا أثناء هذه الاحتجاجات. هذا كلّه مرفق بنوع آخر من القمع المعنوي، ومفاده إلصاق تهمة الـ«لا سامية» بأيّ نقد للسياسة الإسرائيلية، تهمة بالغة الخطورة، تأتي مُتناصل بتاريخها القريب.

ردّة فعلنا على هذا الخرق الفاضح للديمقراطية أنّ سلطات الدول صامتة، مع تعليقات خجولة. وهذا مفهوم. فهذه السلطات لديها درجة معينة من الاحترام لنفسها، من أنّها بالأصل دول ديمقراطية، ولا تملك طموحاً ديمقراطياً أو مشروعاً ديمقراطياً، فتكتفي بكلمات هائمة من هنا وهناك. والطريف في الأمر، أنّ ردّة الفعل الأقوى تأتي من جانب دول وتنظيمات تنتمي لمحور المُمانعة بتفرعاته المختلفة. وفي سياق نغمة طلعت منذ «طوفان جبلا جديداً يمتلك الوعي والإرادة ويناضل من أجل القيم التي أزدوجت معاييرها في المؤسسات الدولية، التي تذعي الدفاع ... أما ذنب تمارا فكان وقوفها إلى الجانب الصحيح من القيم والأخلاق». ونظراً لمساهمتها هذه، يوصي الوزير بتقليدها «دكتورة في مادة كرامة الإنسان ونشر الوعي الذي تغطّي احتجاجات الطلاب الأميركيين بنبرة القلق عليهم من قمعهم، والأرق من «التحديات والسجالات السياسية» التي تطرحها بوجه إدارة بايدن. هذه الديمقراطية؛ من جهة، مجتمعاته الآمنة صاحبة حقوق متعاظمة في المشاركة في القرار، مع العيوب الملازمة لهذه الديمقراطية؛ ومن جهة أخرى، نهب منظّم للشعوب الخاضعة له، ومراضاة حكامهم شديدي الغيرة على استبدادهم. وفي أيامنا هذه، ارتفعت وتيرة هذا «التضارُب» الديمقراطي. والسيناريو الدائم المُكرّر؛ علاقات مفيدة مع دولة تمارس سلطتها بالقمع الصريح ضدّ مواطنيها، يناشدها أصحاب الضمير بأن تضغط على هذه الدولة بغية تغيير سياستها المعادية للحريات فترفّ عليها الدولة الديمقراطية بأنّها ستفعل، ولكنها تأخذ أيضاً بالمصالح والفوائد التجارية أو الصناعية أو الاستراتيجية، الناجمة عن تحالف أو تعامل مع هذه الدولة الاستبدادية أو تلك. وينقضي غالباً الواجب الديمقراطي بالتذكير بـ«المصالح العليا» لدولتهم، نصف السرّية.

بعد السابع من أكتوبر (2023)، اتسع نطاق هذا العيب الديمقراطي الغربي وتعمّق. وكانت المقارنة بين موقف دوله من حرب بوتين على أوكرانيا وموقفها من حرب إسرائيل على الفلسطينيين، ودعاماتها الأساسية أنّ إسرائيل «دولة ديمقراطية»؛ «منارة» الغرب المتقدّم وسط بحر القمع والاستبداد العربيّيْن. وبعدما أمعنت أميركا، قائدة الديمقراطية، في دعم هذه «الديمقراطية» الإسرائيلية إلى حدّ الفضيحة الموصوفة، وطوال هذا الإمعان، جاءت ردّة الفعل من داخلها، من شبابها الجامعيين في أرقى مؤسّساتها، فكانت المظاهرات والاعتصامات والخيم والخطب والأغاني تدوم بدوام المجاعة والمجزرة في غزّة. وردّة فعل الإدارة والشرطة قمعها؛ اعتقال ما يزيد عن ألف وخمسمائة طالب، واقتحام الخيم التي نُصبوها في أحرم جامعاتهم، فصل وإنذار لطلاب برزوا أثناء هذه الاحتجاجات. هذا كلّه مرفق بنوع آخر من القمع المعنوي، ومفاده إلصاق تهمة الـ«لا سامية» بأيّ نقد للسياسة الإسرائيلية، تهمة بالغة الخطورة، تأتي مُتناصل بتاريخها القريب.

ردّة فعلنا على هذا الخرق الفاضح للديمقراطية أنّ سلطات الدول صامتة، مع تعليقات خجولة. وهذا مفهوم. فهذه السلطات لديها درجة معينة من الاحترام لنفسها، من أنّها بالأصل دول ديمقراطية، ولا تملك طموحاً ديمقراطياً أو مشروعاً ديمقراطياً، فتكتفي بكلمات هائمة من هنا وهناك. والطريف في الأمر، أنّ ردّة الفعل الأقوى تأتي من جانب دول وتنظيمات تنتمي لمحور المُمانعة بتفرعاته المختلفة. وفي سياق نغمة طلعت منذ «طوفان جبلا جديداً يمتلك الوعي والإرادة ويناضل من أجل القيم التي أزدوجت معاييرها في المؤسسات الدولية، التي تذعي الدفاع ... أما ذنب تمارا فكان وقوفها إلى الجانب الصحيح من القيم والأخلاق». ونظراً لمساهمتها هذه، يوصي الوزير بتقليدها «دكتورة في مادة كرامة الإنسان ونشر الوعي الذي

> يشمتون ببايدن الواقع في إحراج شديد عشية انتخابات مُرشح لها، من دون النظر إلى أنّ هذا الإحراج من صنع الديمقراطية نفسها

أحدثته في الوجدان اللبناني والعربي والدولي».

متّفقو الممانعة شاركوا أيضاً في حفلة الاستنكار هذه، بعبارات «فلسفية»، يصعب فهمها، ولكن يسهل نقلها، حرفياً إن لزم الأمر. يكتب أحد روّادها مثلاً: «منذ نشأتها، تلازم وجهان للحداثة الغربية، العقلانية والعنف، أو العقلانية العنفية والعنف العقلاني. ويبدو أن هذين الوجهين ما زالا حاضرين إلى اليوم في ثقافة الغرب السياسي. ومن ينظر في القمع الذي يتعرض له طلاب أميركيون وطلاب أوروبيون، يجد أن العقلانية العُنفية ما زالت قارّة في الوجه الأول. ومن يتفحّص مشاهد دعم الغرب السياسي لإسرائيل يقع في الوجه الثاني على طبيعة العُنف العقلاني ضدّ الفلسطيني» (ما الفرق بين «العنيفة» و«العُنفية»؟ وهل من علاقة لـ«العنف» بهما؟). طبعاً، يمكن هذه الجماعة وراس محورها من نموذج تقتدي به، ولو من غير إفصاح عنه؛ إيران وانتفاضة شعبها ضدّ ملالية قبل عامين، وسحق سلطاتها للمحتجّين (550 قتيلاً معلناً) والإعدامات وقطع الإنترنت والاعتقالات والسجون الرهيبة، وأخيراً، بعدما أظهرت عضلاتها على إسرائيل؛ موجة أعنف من التشدّد ضدّ بعض النساء، و«شرطة أخلاق» تجوب المدن بحثاً عن سافرة، تضربها وتذلّها وتطلب منها تعهّداً. أما في لبنان، تحت حكم حزب الله والمؤسّسات التي اخترقها برجالاته ومحاكمه الشرعية، فلا تقلق؛ من فيديوهات الاعتذار على كلمة عفوية قيلت في حقّه، إلى في حركة الطلاب الأميركيين؟ يتأسى من فصل الطالبة اللبنانية تمارا رسامني في جامعة كولومبيا بسبب مشاركتها في الاحتجاجات الأميركية. ويفتخر بها، فيعلن: «تمارا وأمثالها من رفاقها ورفيقاتها يمثّلون جيلاً جديداً يمتلك الوعي والإرادة ويناضل من أجل القيم التي أزدوجت معاييرها في المؤسسات الدولية، التي تذعي الدفاع ... أما ذنب تمارا فكان وقوفها إلى الجانب الصحيح من القيم والأخلاق». ونظراً لمساهمتها هذه، يوصي الوزير بتقليدها «دكتورة في مادة كرامة الإنسان ونشر الوعي الذي

(كاتبة لبنانية)

## التطبيع والصيد بالرِماح

**زياد بركات**

كتب السفير الإماراتي لدى الولايات المتّحدة يوسف العتيبة مقالَيْن في «بديعوت أحرونوت» عام 2020، واحد قبل توقيع بلاده اتفاق التطبيع مع إسرائيل، والثاني بعده. تحدّث في الأوّل عن «إيمان» بلاده بأنّ إسرائيل «فرصة» وليست عدوّاً، وأنّها والإمارات تملكان جيشيْن من بين الأفضل في المنطقة، وتواجهان مخاطر مشتركة، وبإمكانهما بالتالي إيجاد تعاون أمني مشترك، بما يؤدي إلى ربط إسرائيل بالمنطقة والعالم. ساق العتيبة هذه المقدّمات للتّمهيد لما سيتحقّق بعد شهرين فقط من نشر مقاله، وهو الإعلان عن تطبيع بلاده علاقاتها مع إسرائيل في أغسطس/ آب من العام نفسه. ولم تتضمّن مرافعته (أو مقاله) ذكراً صريحاً للفلسطينيين أو قضيّتهم، باستثناء تحذير خجول من خطورة ضم رئيس الوزراء الإسرائيلي نحو 30% من أراضي الضفّة الغربية، بالقول إنّ هذا سيقوّض جهود السلام، وقد يؤدّي إلى نهاية التطبيع العربي مع إسرائيل. في المقال الثاني، الذي نشرته «يديعوت أحرونوت» على صدر صفحتها الأولى بعنوان «شالوم عليكم»، بعد نحو أسبوع من اتفاق التطبيع الإماراتي - الإسرائيلي، كتب العتيبة أنّ الاتفاق أوقف ضمّ الأراضي الفلسطينية، وفتح الباب أمام مستقبل أفضل للشرق الأوسط. ولكن ذلك كان مُضلِّلاً بشكل فجّ، فتنتياهو لم يَعِد، لا في السرّ ولا في العلن، بإلغاء خطّة الضمّ، وكان أقصى ما ذهب إليه تعليق تنفيذها، ولم يجنّب نتنياهو ظنّ كثيرين يعرفون أنّه يكذب، وأنّ العتيبة يُروّج بضاعةً فاسدةً. فقد أعلنت حكومته بعد شهر من توقيع اتفاق التطبيع رسمياً في سبتمبر/ أيلول، عن موافقتها على بناء أكثر من ثلاثة آلاف وحدة استيطانية جديدة في الضفّة الغربية. ومن المغارقات الكاشفة للبروباغندا الرخيصة، التي بذل العتيبة جهداً كبيراً في ترويجها، أن يكون مُعدّل الاستيطان في عام التطبيع الإماراتي هو الأعلى على الإطلاق منذ عام 2012.

يتمّ الصيدُ بوسائل عدّة، وثمّة صيدٌ بالشِبَكة، وهو جماعي، وتسعى إلى مثله إسرائيل، وثمّة نوعٌ آخر بالحصار والإنهاك، كان تُعرّل الفريسة من القطيع وتُجبر على سلوك طريق ضيّق ووحيد، قبل إنهاكها وحصارها والانقضاض عليها بالرماح. وهذه التكتيكات طُبّقت على البشر أيضاً في حِقَب العبودية، ويبدو أنّ إسرائيل ما زالت وفيّةً لتقاليد الصيد المتوحّش. وإذا كان هذا شأنها، فالمستغرب أن تعيد الفريسة سيرتها، وترضخ لتكتيكات قاتلها، فلا تفيد من خبرات سبقت، ولا تسعى إلى كسر المعادلة نفسها وتفكيك أسسها. يبرزُ محلّلون ما توصف بسياسة الصبر الاستراتيجي لدى الإيرانيين إلى تقاليد إنتاج السجّاد ولعبة الشطرنج، وهو ما تفعله شعوبٌ أخرى لكن بأدوات مُعاصرة واستراتيجيات مُركّبة، وتجربتا الهند ومصر في التفاوض على شراء مقاتلات رافال الفرنسية، قبل أكثر من عشر سنوات، توضّح الفرق بين من يُفاوض لمصلحته ومن يصرّ، المرّة تلو الأخرى، على إطلاق النار على قدميه بسلاحه الشخصي، وعلى حسابه، ووسط تصفيق مُناصريه. نقول هذا ونحن نشهد عمليّاً عمليات تفاوضٍ مكتومة نعرف خطوطها العامة ولا نعرف شيئاً عن آلياتها، وتجري بالتوازي مع حرب الإبادة على غزّة. ويفترض أن تتضّح صورتها وتفاصيلها بعد وقف النار، وبدء عمليات تبادل الأسرى بين إسرائيل و«حماس». وفقاً لمستشار الأمن القومي الأميركي جيك سوليفان، فإنّها تشبه لعبة «بازل»، إذ لا يمكن فصل قطعةٍ عن باقي القطع الأخرى إذا أردتَ النجاح في تركيب الصورة المطلوبة. وهذه القطع في التصور الأميركي تتكوّن من إنهاء الحرب في غزّة، تفكيك «حماس»، وإنشاء سلطة «مُنشّطة»، وتقابلها قطع أخرى (اتفاق دفاعي أميركي سعودي متعدّد الجوانب، وتطبيع العلاقات بين الرياض وتل أبيب)، ولا يمكن عزل هذه عن تلك القطع، رغم أنّ ثمّة قطعة غائبة يتمّ الحديث عنها بشكل غائم، ما زالت تحت عن مكانها، وهي الدولة الفلسطينية. يُفترض أن تؤدّي القِطع كلّها إلى تثبيتها بالتوازي مع السلام الشامل أو التطبيع الكامل في المنطقة.

## عندما تلعب تركيا في الوقت الضائع

**محمد احمد بنّيس**

تعكس الخطوات التركية أخيراً بشأن حرب غزّة أزمة باديةً لدى الحكومة التركية في التعاطي مع منعرجات الأزمة، خاصة في شقّيها السياسي والدبلوماسي. وكانت أبرز هذه الخطوات الانضمام إلى دعوى الإبادة الجماعية التي رفعتها جنوب أفريقيا ضدّ دولة الاحتلال، وتعليق المبادلات التجارية معها. وهو ما يطرح أسئلةً بشأن توقيتها وغاياتها، علماً أنّ الموقف التركي من العدوان الإسرائيلي كان خجولاً، ولم يرقَ إلى تطلّعات قطاع واسع من الرأي العام في الإقليم كان يعتقد أنّ تركيا، بوزنها الجيوسياسي، يمكن أن تُحدث بعض التوازن أمام آلة القتل الإسرائيلية، أمام عجز الحكومات العربية وارتهانها للدول الغربية الكبرى. بالطبع، لم يكن متوقّعاً من تركيا أن تحرّك قواتها المسلّحة في اتجاه غزّة. لكن كان في وسعها أن تكون أكثر فاعلية من الناحية الدبلوماسية في مواجهة المجازر الإسرائيلية اليومية في حقّ الفلسطينيين، أقلّها قطع العلاقات الدبلوماسية مع دولة الاحتلال، ووقف أشكال التعاون التجاري والاقتصادي معها. لم يتخطّ الموقف التركي في بداية العدوان إدانة المجازر والمطالبة بوقف إطلا

# في الصمود والمقاومة

**كمال عبد اللطيف**

نشأ في قلب حروب الضمّ والاستيطان، وتوسيع دوائر التطبيع والمُطبّعين، وبمحاذاة حالة التراجع العامة والمُخيفة، التي تمرّ منها القضية الفلسطينية، كلّ ما يمكن أن يساعد الحركة الصهيونية على مزيدٍ من الهيمنة والإبادة، من أجل مزيد من ترسيخ كيانها الاستعماري في فلسطين. وطوال قرن، لم تتوقّفْ حروب الاجتثاث والحرق والهدم وبناء الأسوار العالية، وتزوير التاريخ وإشاعة الأساطير. ويعتقد حَمَلَة المشروع الصهيوني أنّ الأباطيل التلمودية قابلة للتحقيق والرسوخ، وهم لا يتردّدون في الانخراط في حروب الإبادة، التي تواصلت طوال عقود القرن الماضي. وقد وظّفت مشاريع السلام ومعاهدات التطبيع لمزيد من اختراق ما تبقّى من الأرض، وإشاعة مزايا شرق أوسط جديد، تُمثل فيه دولة الكيان الصهيوني البؤرة الناظمة لأدوار الكيان الوسيط، المُكلّف بحماية المصالح الغربية في المحيط العربي. لم تتوقّف حركات الصمود والمقاومة عن ممارسة أشكال من المواجهة المستميتة مع الاستعمار الصهيوني، وما خلّف من ويلات داخل المجتمع الفلسطيني. ففي قلب مشروع الاحتلال والهيمنة تتواصل إرادة الصمود، كما يتواصل ابتكار طرائق في المقاومة تتيح إمكانية اختراق أنظمة الكيان الصهيوني، في الحراسة والفصل وبناء الأسوار العازلة، وتجتهد في عملية البحث عن مساراتٍ تضع فيها الخيارَ الوطني الفلسطيني، المناضل والمقاوم، في الطريق المُؤدّي إلى التحرير اليوم أو غداً.

وحدث «طوفان الأقصى»، المُفجّر اليوم لحرب الإبادة المتواصلة منذ سبعة أشهر، يُقرأ ردَّ فعلٍ على مختلف صور الاستعمار الاستيطانيّ الصهيوني في فلسطين، كما يُقرأ نوعاً من المواجهة مع سياسات المُطبّعين وخرائطهم الجديدة، التي تتوخّى إذلال الفلسطينيين ودعم الكيان الصهيوني. يتبادر إلى ذهن من يفكّر في المقاومة الفلسطينية اليوم، في ضوء واقع الفلسطينيين وفي ضوء الوضع السياسي العربي، سؤالٌ يرتبط بشروط المقاومة ومقتضياتها، ونحن نعتبر أنّ هذا السؤال، وإن كانت له أهمّية في عمليات التقدير القَبْلِي لأفعال السياسة والحرب في التاريخ، فإنّه يظلّ من الأسئلة المُعطّلة لأشكال من المبادرة الصانعة لبعض أحداث التاريخ.

> وضعنا طوفان الأقصى أمام نموذج لأفعال القادرة على مُحاصرة الصهيونية في فلسطين والمحيط العربي

ويمكن أن نضيف إلى ذلك سؤالاً آخر، متى كانت أحوال العَرب والفلسطينيين مناسبة ومكافئة، لمواجهة المشروع الغربي الصهيوني وأحلامه التوسّعية؟ نتصوّر أنّ «طوفان الأقصى»، وضعنا أمام نموذج لأفعال التاريخ القادرة على مُحاصرة الصهيونية وجرائمها في فلسطين وفي المحيط العربي، إنّه يساهم اليوم، في مزيدٍ من إبراز جرائم المشروع الصهيوني وأساليبه في الهيمنة، وكذا صوّر تبعيته للغرب الاستعماري، إضافة إلى فضحه أكاذيب السلام والديمقراطية وحقوق الإنسان في دولة الكيان الصهيوني، وهي تواصل إحراق غزّة وتحويلها إلى مقبرةٍ جماعيةٍ، بعد أن حاصرت الفلسطينيين ووضعت شبابهم في السجون والأقبية المُظلمة، مُعلنةً أنّها بصدد بناء «صفقة القرن»، «شرق أوسط جديد» تقوده لينعم بالسلام والتنمية (!)

لم يعد هناك مَفَرٌّ اليوم من توسيع وتنويع دوائر المقاومة الفلسطينية، الخيار الوحيد الممكن لإبراز لا محدوديّة الصمود الفلسطيني. إنّ مواجهة العنف والقتل والهدم والحرق والتجويع والمحاصرة والعزل، وجرائم الحرب كلّها، التي يُعاين العالم ومنظّماته الدولية أطوارها المُرعبة والمُخيفة تدعو إلى ذلك. ويتيح تنويع طرائق المقاومة للفلسطينيين ولكلّ الأحرار في العالم، محاصرة بعض أوجُه الجنون الغربي الصهيوني، وقد يسمح بإمكانية وقف العديد من المخاطر التي أصبحت تهدّد المشرق العربي، وتهدّد العالم أجمع. نُعاين اليوم في الحركة الطلابية العالمية في الغرب الأوروبي وفي الولايات المتّحدة، ما يُبرز ميلاد انتفاضة الجامعات وتبلور حراكٍ طلّابيّ مُتحرّر، يتطلع إلى التخلّص من السردية الصهيونية، ويرفع شعارات تحرير فلسطين من الاستعمار الصهيوني.

ترتّب على معركة طوفان الأقصى كثير من القتل والخراب، وكثير من الرعب والجنون، من دون أن ننسى الإشارة إلى مكاسب عديدة التي حصلت بسببها. وفي أحداثٍ كثيرة تتواصل اليوم، فوق الأرض المُغتصبة، يمكن أن نعاين نتائج أفعال أخرى في المقاومة من أجل بلوغ أهداف المشروع الوطني الفلسطيني. أفعال المقاومة تحمل أوجهاً مُركّبَة، مثلها في ذلك مثل أفعال الحياة والموت. وجرائم الكيان الصهيوني في حربه المتواصلة ضدّ الفلسطينيين في غزّة، تتطلّب أكثر من أيّ وقت مضى، توسيع وتنويع وتعميم أشكال المقاومة. يمكن أن نقف على بعض مظاهر هذا التنويع، في حدثيْن رمزييْن حصلا أخيراً في السجون الإسرائيلية؛ حدث إهمال الأسير المناضل وليد دقّة (1961 - 2024)، الذي ظلّ سجيناً رغم انتهاء زمن محكوميته، وقد صدر خبر وفاته يوم السابع من إبريل/ نيسان الماضي، بعد قضائه ما يقرب من 40 سنة في السجن. ظلّ دقّة يواجه الإهانة والإهمال بالكتابة والبحث، ويحلم بملامسة شعر ابنته ميلاد، التي أنجبها بعد تهريب نطفتها وهو في السجن، وكانت قد بلغت أربع سنوات لحظة وفاته. أنهى دقّة تعليمه الجامعي في السجن، ومات بعد أن كتب الرواية والبحث واليوميات، أصدر ثُلاثيّة لليافعين بعناوين: «حكاية سرّ الزيت» و«حكاية سرّ السيف» و«حكاية سرّ الطيف». وأصدر بحثاً بعنوان «صهر الوعي أو في إعادة تعريف التعذيب» (تقديم عزمي بشارة، مركز الجزيرة للدراسات والدار العربية للعلوم، 2010)، وهو دراسة في آليات عمل السجون الإسرائيلية وفي الطرائق التي تستخدمها لممارسة قتل السجناء. كما حرّر «يوميات المقاومة في جنين 2002» (مواطن، المؤسّسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، رام الله، 2004) محاولاً تقديم رواية المُقاتلين من السجناء المُشاركين في معركة المخيّم، بعد لقائه بهم في السجن، ومُركّباً مساهمة حيّة للفلسطيني المُنخرط في المقاومة. وتُعَدّ هذه اليوميات بمثابة شهادة من قلب معركة التحرير. وبجانب القتل والقهر الذي يتعرّض له الفلسطيني في سجون الكيان الصهيوني، ومختلف صور المواجهة التي تحصل يومياً، يصنع سجينٌ آخر شكلاً آخر من أشكال المقاومة، يبدع نصّاً روائياً يؤهّله لنيل الجائزة العالمية للرواية العربية. يتعلق الأمر بالأسير باسم خندقجي، وروايته الفائزة «قناع بلون السماء» (دار الآداب، بيروت، 2023)، وفيها يفكّك واقع العنصرية والإبادة، وتشتبك في قلب أحداثها معطيات التاريخ والأسطورة، وتحلم بالتحرير.

كان الأسير دقّة يؤمن بأنّ الكتابة حرّرته من السجن، ومات مبتسماً مقاوماً ومنتصراً. ويواصل خندقجي إيمانه بدور الكتابة في المقاومة والتحرير. يحصل هذا في زمن «طوفان الأقصى»، بكلّ ما حمله من جرائم ومن قَهْر، يحصل في قلب المعارك المتواصلة من أجل تحرير فلسطين، ليعزّز الإيمان اليوم بأولوية الصمود والمقاومة.

(أكاديمي مغربي)

# فلسطين حرّة «من النهر إلى البحر»

**أنيس فوزي قاسم**

هذا الشعار «From the River to the Sea، Palestine will be Free» الذي يردّد في المظاهرات الشعبية التي تجتاح العالم، بما فيه أكثر الجامعات الأميركية والبريطانية والفرنسية والألمانية أهمّية، أثار المخاوف والهواجس، و«العقد النفسية»، التي تسيطر على أقطاب التمييز العنصري، ومروّجي الإبادة الجماعية التي تمارسها عصابات المستوطنين في حقّ الفلسطينيين في الأراضي الفلسطينية المحتلّة، ول اسيّما في قطاع غزّة. ذلك أنّ إزالة التمييز العنصري هو من أشدّ المخاطر ضرراً على المشروع الصهيوني المُسمّى «إسرائيل»، ففي دولة «الشعب اليهودي» لا يجوز أن يتساوى اليهودي مع غير اليهودي في الحقوق والواجبات، فالمساوات تُفقد الصهيونية مبرّر وجودها، بل مبرّر عنصريتها. ومن هنا جاء الرعب الذي يُحدثه الشعار، فيعتبرونه شعاراً معادٍ للسامية.

ومع ذلك، يؤكّد الواقع أنّ القيادة التاريخية لمنظمة التحرير الفلسطينية أعلنت رسمياً قبولها اقتسام فلسطين مع المستوطنين الصهاينة. ففي 15 نوفمبر/ تشرين الثاني 1988، أعلن المجلس الوطني، المُنعقد حسب الأصول، قيام دولة فلسطينية على حدود الرابع من يونيو/ حزيران عام 1967، أي على 21% من مساحة فلسطين، وأكّد «إعلان الاستقلال» على أنّ القيادة الفلسطينية تعترف بأنّ قرار التقسيم (رقم 181 في العام 1947) «ما زال يوفّر شروطاً للشرعية الدولية»، أي سندها الشرعي في إقامة دولتها وقيام دولة المستوطنين، ثمّ جاءت اتفاقيات أوسلو (1993)، وهي اتفاقيات وإن لم تأتِ على ذكر «دولة فلسطينية» ولا على حدود دولتين؛ يهودية وعربية، إلا أنّه كان مفهوماً ضمناً، على الأقلّ للجانب الرسمي الفلسطيني، أنّ دولة فلسطينية سوف تقام على حدود الرابع من يونيو (1967)، هذا فضلاً عن أنّ بداية مسار «أوسلو» كان الاعتراف الرسميّ الفلسطيني، ليس فقط بـ«إسرائيل» دولة، بل ذهب إلى أبعد من ذلك واعترف بـ«حقّ إسرائيل في الوجود»، وهي سابقة نادرة في الاعترافات الدبلوماسية (كما أنّها سابقة أن تعترف حركة بدولة)، إلا أنّ إسرائيل استطاعت تبديد هذا الوهم الذي وقر في ذهن القيادة الفلسطينية، التي ماز الت تحلم به كالشخص الذي يمشي وهو نائم.

> أخفق الكونغرس في استيعاب دوره في أن يكون الحارس الأول للدستور، والتعديل الأول منه الأكثر أهمّية واحتراماً من المواطنين

ولكن، من الثابت رسمياً وعملياً أنّ إسرائيل هي التي ترفض اقتسام فلسطين مع الفلسطينيين، ليكون نصيب إسرائيل 22،000 كيلو متر مربع (78% من مساحة فلسطين) ونصيب فلسطين خمسة آلاف كيلو متر مربع. ولا أدلّ على ذلك من أنّ إسرائيل لا تزال تقيم المستوطنات لليهود حصراً في الأراضي الفلسطينية المحتلّة، مع ما في ذلك من مخالفة صريحة لكلّ القرارات الدولية، والرأي الاستشاري لمحكمة العدل الدولية، وما زالت إسرائيل تنقل مستوطنيها إلى هذه الأراضي، وتغدق عليهم المال والسلاح، وتأمّن لهم المواصلات والكهرباء والماء والاتصالات، التي تربط مستوطناتهم بمثيلاتها في داخل إسرائيل، وذلك شكل من أشكال الضمّ والاستعمار. ثمّ أصدرت إسرائيل قانوناً في 2018 (قانون القومية) يُقرّر في مادته الأولى أنّ حقّ تقرير المصير حقّ حصري لـ«الشعب اليهودي»، يمارسه في كلّ «أرض إسرائيل»، أيّ أنّ ذلك يشمل كلّ فلسطين التاريخية، ويتجاوزها إلى ما وراء ذلك من أراضي الدول المجاورة. وهكذا، نزعت إسرائيل صفة الاحتلال عن «الأراضي المحتلّة» وأصبحت ملكاً خالصاً لـ«الشعب اليهودي». كما نزع القانون في مادته السابعة الصفة غير القانونية للمستوطنات وأسبغ عليها «الصفة الوطنية»، وفي هذا قلبٌ لكلّ مفاهيم القانون الدولي. إسرائيل ترفض تماماً أيّ حقّ للفلسطينيين في أرضهم التاريخية. وإذا كانت إسرائيل هي التي ترفض اقتسام فلسطين بينها وبين الفلسطينيين، الذين قبلوا هذه القسمة، وهي قسمة ضيزى على نحو مطلق، فلماذا إذن يلام الفلسطينيون إذا طالبوا بدورهم في استعادة كامل أرضهم التاريخية من النهر إلى البحر؟

أخفق الكونغرس الأميركي المرّة تلو الأخرى في استيعاب دوره ومهمّته الأساسية، وهي أنّه الحارس الأول للدستور الأميركي، بما في ذلك التعديل الأول منه، الذي قد يكون الأكثر أهمّية واحتراماً من المواطنين الأميركيين، باعتبار أنّه يُقنّن بغيرة شديدة حرّية القول والرأي. هذه الحرية بالنسبة للمواطن الأميركي ترقى إلى مرتبة القداسة. ونلاحظ أنّ أيّ مواطن أميركي يستطيع أنّ يخاطب أيّ مسؤول من الرئيس إلى أصغر مسؤول في الإدارة الأميركية، وأحياناً يكون الخطاب حادّاً وبعيداً عن اللباقة، ومع ذلك، لا يستطيع أحد أن يعتقله أو يسكته، طالما أنّ النقد لا يتطاول على إسرائيل والصهيونية. ويتخذ الكونغرس قراراً يحرم المواطنين والمتظاهرين من إعلان شعارهم الجديد الدالّ على صحوة فكرية وعلمية: «من النهر إلى البحر، فلسطين ستكون حرّة»، لأنّها ستكون حرّة من الصهيونية، وهذا ما يرعب الكونغرس الأميركي الذي لا يبدي اعتباراً لمبدأ حرّية الرأي والقول. بل إن سلوك الشرطة الأميركية في التعامل مع طلاب الجامعات الأميركية وأساتذتها فيه خرق فاضح للتعديل الأول من الدستور. أيّ أنّ حرّية التعبير يجب أن تكون على مقاس الإبادة الجماعية والأبارتهايد لكي تحترم، حسب مفهوم الرئيس جو بايدن.

(خبير قانوني فلسطيني)

# احتجاجات الجامعات الأميركية: ماذا يفعل الفلسطينيون؟

**مراد بطل الشيشاني**

«الجنود يقطّعوننا إرباً... كان يجب أن نخرج منذ زمن طويل... ماذا لو كنت تعرفها، ووجدتَها جثّة هامدة على الأرض؟... كيف يمكنك الهرب إن كنت تعلم؟». كلمات صادمة، طافت بين أوساط الشباب الأميركي المُحتجّ على حرب فيتنام في منتصف العام 1970. أغنية «أوهايو» من القطع الموسيقية التي حدّدت ملامح تلك الحقبة، وأعطت دفعة لحركة الاحتجاج في الجامعات الأميركية، ووجّهت نقداً حادّاً للرئيس الأميركي ريتشارد نيكسون. جرى تسجيل هذه الأغنية على عجالة (من أربعة مغنيين)، وكتب كلماتها نيل يونغ، بعد أن شاهد في مجلة لايف صور القتلى من الطلاب المُحتجّين في «جامعة كنت العمومية» في ولاية أوهايو، وأشهرها صورة الطالبة آن ماري فيجي جاثيةً أمام جثمان زميلها المُسجّى في الشارع، والفزع في عينيها، وقيل إنّها صرخت: «لماذا تقتلوننا؟».

فتح الحرس الوطني في ولاية أوهايو النار على المحتجين من الطلبة داخل الجامعة، لتشكّل واحدةً من المجازر في التاريخ الجامعي الأميركي، إذ قُتل أربعة وأصيب عشرات، وقد عرضت شبكة سي أن أن عام 2017 وثائقياً مُسلسلاً عن الموسيقى التي شكّلت علامات فارقة في التاريخ الأميركي، وبدأت السلسلة بموسيقات الاحتجاج، وأوهايو في مقدّمتها. القصد من استذكار هذه القصة الفارقة الحالة الشبيهة التي شكّلتها احتجاجات طلبة الجامعات الأميركية، تنديداً بالحرب الإسرائيلية على غزّة، واستمرار المقتلة فيها. أضحت هذه الاحتجاجات تشكّل عاملاً مؤثراً، عقب أوهايو (1970)، والمظاهرات المُنددّة بحرب فيتنام، لأسباب عدّة. أولاً، أنّ ما يحدث يعبّر عن حركة احتجاجات مؤثرة، ستكون لها تداعياتها. ولكنّها، ثانياً، ليست ثورة عارمة في الولايات المتّحدة، كما تقول بعض الأصوات هذه الأيام عربياً، فالسياق يؤكّد على أنّ الجامعات تُمارس دوراً مؤثّراً، ولطالما كانت تلك الجامعات منبع الحراك السياسي. أذكر، منذ سنوات، حين شلّت تظاهرات الشبّان (من اليسار في معظمه) مدينة هامبورغ الألمانية، على هامش قمّة العشرين، لم يستغرب السياسيون، الأوروبيون تحديداً، حين سألناهم، وغاب استغرابي الشخصي حين همس زميلٌ لي إنّ سياسيين كثيرين هم ممّن شاركوا في تظاهرات شبيهة منذ حركة الشباب في ستينيات القرن الماضي، وبالتالي، وفي السياق الأميركي، هناك خطّ مُتّصل، في عقل الأميركي، بشكل مختلف عن الأوروبي، من احتجاجات ضد الحرب في فيتنام أو الحقوق المدنية قبلها، وبعدها، والحراك السياسي في الجامعات اليوم، عن تأثير الجامعات القوي في السياسة الاحتجاجية. أجل، يفرّق بعضهم بين الجامعات بحكم ارتباطاتها الطبقية، لكن ليس هذا المُهمّ، بل إنّ قضية التعاطف مع الفلسطينيين، ومنذ الحرب على غزّة، اتخذت طابعاً مُختلفاً عن ذي قبل. ورغم الوضع المأساوي في غزّة، لم تكن حركة التأييد للفلسطينيين، غربياً، بهذا الزخم والقوّة على مدار التاريخ المعاصر، بشكل يجعل إثارة الأسئلة لدى هواة تقسيم العالم إلى «نحن» و«هم» تستدعي بعض التروّي، وهو أمرٌ صعب لكثيرين في ظلّ استمرار المجازر في غزّة. يدفع هذا كلّه إلى الحديث عن آليات وخيارات تعامل الحركة الوطنية الفلسطينية مع هذا الحراك العالمي كلّه، فالحركة تاريخياً ارتبطت باليسار المناوئ والمعارض، ونسجت علاقاتها مع ذلك اليسار، بما فيه دكتاتوريات وطغاة وحركات متطرّفة يسارية، ولم تشكّل أيّ اختراق يُذكر مع القوى الليبرالية (يمكن أن يُعزى ذلك إلى بنية الحركة الفلسطينية أساساً، وتمنّع الليبرالية تاريخياً، أيضاً)، ولكن اليوم، وكما أشير أعلاه، هناك فرصة تاريخية لنسج علاقة تحالفية مع هذا الحراك الليبرالي، والمعتنق للأفكار التي توصف بالغربية، أيّما اقتناع. الحرب الدموية على غزّة أنتجت سرديات مختلفة، خاصّة في ما يتعلّق بنظرة العالم إلى القضية الفلسطينية، بين سرديةٍ

> لم تكن حركة التأييد للفلسطينيين، غربياً، بهذا الزخم والقوّة، بشكل يجعل إثارة الأسئلة لدى هواة تقسيم العالم إلى «نحن» و«هم» تستدعي بعض التروّي

تحاول أن تعالج أزمة تاريخية حضارية، عبر الحرب على غزّة، وأبطالها يطلّون عبر الصراخ أو ببثّ أملٍ كاذب في شاشات الفضائيات ووسائل التواصل الاجتماعي، وصولاً إلى صورة أكثر راديكالية، عبر مهاجمة أناس عاديين بحجّة «نُصرة المقاومة» وغيرها، وسرديةٍ لم تكتمل بعد، ترى في التحوّل الكبير في الشارع الغربي مؤثراً وعاملاً أساسياً للتأثير في السياسات الغربية. طبعاً، السؤال المطروح وبقوّة: مَنْ مِنَ الفلسطينيين يقوم بذلك التقارب في ظلّ حال الانقسام، وحال الـ«لا استقرار» السياسي بين الضفّة الغربية وقطاع غزّة؟ سؤال يتعقّد، لكن في ظلّ الحراك الدولي. الآن، فإنّ مُحاولة نسج العلاقة مع التيارات المؤيدة للفلسطينيين في الغرب تستدعي خطاباً يُدرك مُستهدَفيه ويمنح أدواتٍ جديدة، لتقديم هذا الخطاب، لكن ليس بالضرورة أن يكون رسمياً، إنّما يتطلّب إعادة إنتاج الخطاب الفلسطيني عموماً، من كلّ الجهات الفاعلة، لا بل على العكس، فإنّ إبعاد الخطاب الرسمي يمنح تحرّراً من القيود الرسمية، وأُطراً أوسع، فما يحدُث في الغرب تحوّلات كبيرة ومؤثّرة، وتحتاج خطاباً بحجم تلك التحولات.

(إعلامي أردني في لندن)

العربي الجديد
www.alaraby.co.uk
تصدر عن شركة فضاءات ميديا ليميتد (Fadaat Media Ltd)

رئيس التحرير **معن البياري** ■ مدير التحرير **ارنست خوري** ■ المدير الفني **إميل منعم** ■ السياسة **جمانة فرحات** ■ الاقتصاد **مصطفى عبد السلام** ■ الثقافة **نجوان درويش** ■ منوعات **ليال حداد** ■ المجتمع **يوسف حاج علي** ■ الرياضة **نبيل التليلي** ■ تحقيقات **محمد عزام** ■ مراسلون **نزار قنديل**

**المكاتب**
■ المكتب الرئيسي، **لندن**
Ealing Cross, Second floor, 85 Uxbridge Road, London, W5 5TH
Tel: 00442045801000
■ مكتب **الدوحة**
الدوحة ـ برج الفردان ـ لوسيل ـ الطابق الـ 20 ـ
هاتف: 0097440190600
■ مكتب **بيروت**
بيروت ـ الجميزة ـ شارع باستور ـ بناية west end 33
هاتف: 009611567794 - 009611442047
■ البريد الإلكتروني: Email: info@alaraby.co.uk
■ للاشتراكات: alaraby.co.uk/subscriptions
هاتف: 97440190635+ جوال: 97450059977+
■ للإعلانات: alaraby.co.uk/ads